

شخصيات وأفكار



الدكتور عبد العزيز الدوري شيخ المؤرخين العرب

رائد الكتابة التاريخية العربية الحديثة، وامتدادها المتطور للمدرسة الخلدونية في وضع (فلسفة للتاريخ والحضارة)، فضلاً عن كونه مفكراً عربياً يؤمن بدور (الأمة العربية - الإسلامية) في إمكانية صنع الحضارة الإنسانية، وتعزيز دورها بين الأمم الأخرى؛ بشرط الاستعانة بأسلحة الماضي وأرصده الباقية، والحوار الخلاق مع الآخر (الغرب)، دون أن نفقد هويتنا الثقافية وخصوصيتنا الحضارية.

بطاقة حياة

ولد الدوري سنة ١٩١٩م في قرية الدور في وسط العراق، الواقعة على بعد مئة كيلو متر شمال بغداد، وتلقى تعليمه الابتدائي الأولي فيها، وبعدها انتقل إلى بغداد العاصمة للحصول على الثانوية العامة، وأمضى سنة دراسية بعد نفسه للالتحاق بجامعة لندن، وما هي إلا فترة يسيرة حتى التحق بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن، وتخرج فيها سنة ١٩٣٩/١٩٤٠م، محرزاً شهادة البكالوريوس، ونظراً لاكمال قدراته البحثية، أوصت الجامعة بإلحاقه ببرفامج الدكتوراه، فنالها سنة ١٩٤٢م عن: "تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري" وقد عريت الرسالة عام ١٩٤٨م، ونُشرت في بغداد دون أي تغيير، وعاد إلى العراق مدرساً للتاريخ الإسلامي في دار المعلمين المالية (كلية التربية حالياً).

من سنة ١٩٤٣م إلى سنة ١٩٤٨م، ولم تكن جامعة بغداد قد أسست بعد، وكانت سمة تلك الفترة الاضطرابات السياسية، وتوزع الولاءات من ليبرالية إلى شيوعية إلى قومية دينية، ومال الدوري فيها إلى التيار العربي الإسلامي مع اعتدال في الرأي، وفي هذا الجو المضطرب سياسياً، أسند إليه منصب إداري في دار المعلمين العالية - وعلى الصعيد المهني - الأكاديمي كان الدوري من أشد المطالبين بإنشاء مؤسسات تعليمية أكاديمية، تعمل على إنماء البحث



إعداد:
أحمد حسن علي



عارف، أعيد الدوري إلى رئاسة جامعة بغداد، ولكن في سنة ١٩٦٨م عقب استيلاء حزب البعث على السلطة في العراق، أبعاد الدوري للمرة الثالثة عن رئاسة جامعة بغداد، وأمام تلك الظروف غير المواتية للبحث العلمي الحر والدراسة الأكاديمية النزيهة، استقال من الجامعة، وسافر إلى بيروت مرة أخرى، فعمل استاذاً زائراً في الجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٦٨م.

ومنذ سنة ١٩٧٠م والدكتور الدوري يعمل استاذاً للتاريخ الإسلامي في الجامعة الأردنية، ويواصل التأليف والإشراف على طلاب الدراسات العليا فيها، حتى تخرج على يديه أجيال عديدة، ونال عدة جوائز عربية ودولية، وحاز عضوية أشهر المؤسسات العلمية وأبرزها في الوطن العربي والعالم، وشارك في الكثير من المؤتمرات العلمية العربية والدولية، التي تحمل طابعاً قومياً وإسلامياً إنسانياً، وكان الدوري من الموقعين على رسالة تضامن مع العراق وفلسطين ضد الاحتلالين الأمريكي والصهيوني، وله من المواقف القومية المشرفة الكثير، فهو من الداعين إلى الإصلاح، ونشر مبادئ العدل والديمقراطية في البلدان العربية.

ووافته المنية بالعاصمة الأردنية عمان بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والفكري مساء الجمعة ١٩ نوفمبر ٢٠١٠م.

منجزاته الفكرية ومؤلفاته

للعلامة المؤرخ الدوري مؤلفات ما بين كتب

العلمي، وتطوير الدراسات التقليدية الرئيسية، وأثمرت تلك الدعوات قيام كلية الآداب والعلوم عام ١٩٤٩م، وعهد إليه تأسيس هذه الكلية، ومن ثم توليه عمادتها في وقت لاحق.

وبقي عميداً لها في الفترة من سنة ١٩٤٩م إلى سنة ١٩٥٨م، وفي الفترة نفسها أنشئ (مجلس التعليم العالي)، وكان الدوري من أبرز أعضاء المجلس وأوسعهم نشاطاً، وفي هذه الأثناء أصدرت الدولة قراراً بإنشاء جامعة بغداد قبل سقوط النظام الملكي، ومع هبوب أعاصير ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨م، فصل الدوري من الخدمة بتهمة ميله في توجهاته السياسية إلى نوري السعيد!

إلا أنه بعد ستة أشهر، أعيد إلى مكانته الفكرية والعلمية، ولكنه أثر الهجرة من العراق إلى لبنان ليعمل بالجامعة الأمريكية تجنباً للفوضى السياسية التي بدأت تهز قوائم المجتمع العراقي، ولم تترك حتى المؤسسات التربوية، وعاد بعد عام إلى بغداد، مواصلاً مسيرته العلمية والدراسية، وفي سنة ١٩٦٢م (في عهد الرئيس عبد السلام عارف) نصب الدوري رئيساً لجامعة بغداد، إلا أن التقلبات السياسية، والصراعات أبعدته من الجامعة، ليعين استاذاً في معهد الدراسات الإسلامية في بغداد الذي كان يشرف على دراسة الماجستير في التاريخ والآثار والفقه والشريعة، مما أتاح له الوقت الكافي لمتابعة مشاريعه البحثية والدراسة في ميدان تخصصه، وبعد حادثة اغتيال عبد السلام



يعدد.الدوري رائد الكتابة التاريخية الحديثة والامتداد الطبيعي للمدرسة الخلدونية في وضع فلسفته للتاريخ والحضارة



وأشرف على تحقيق: المقنع في الفلاحة
لأحمد الأشبيلي.
وكذلك قدم الترجمة العربية لكتاب برنارد
لويس: أصول الإسماعيلية، وقدم بعض الأوراق
البحثية إلى عدد من المؤتمرات العلمية
الأكاديمية، منها:
- أصول الثقافة العربية.
- العرب والأرض في بلاد الشام في صدر
الإسلام.
- الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب.
- تنظيمات عمر بن الخطاب: الضرائب في
بلاد الشام.
- كتابة التاريخ عند العرب: المنهج والفكر.
- مسألة الوحدة العربية منذ ظهور الإسلام
وحتى الحرب العالمية الأولى.
- ساطع الحصري في الفكر القومي.
- الذات العربية وموقفها من الحضارة
العربية.
- حرية الفكر عند العرب.
- تعريف المشروع الحضاري وتجاربه وتطوره.
وللدوري بحوث أخرى في عدد من الدوريات

وأبحاث ودراسات وتحقيقات، منها:

- ١- العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ
السياسي والإداري والمالي.
 - ٢- دراسات في العصور العباسية المتأخرة.
 - ٣- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع
الهجري.
 - ٤- موجز تاريخ الحضارة العربية (دراسة في
جوهر الحضارة ومكوناتها).
 - ٥- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام.
 - ٦- نشأة علم التاريخ عند العرب.
 - ٧- تفسير التاريخ.
 - ٨- ابن خلدون والعرب.
 - ٩- الجذور التاريخية للشعبوية.
 - ١٠- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي.
 - ١١- التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة
في الهوية والوعي.
 - ١٢- في الوعي العربي.
 - ١٣- النظم الإسلامية: الخلافة، الوزارة،
النظم المالية، النظم الإدارية.
 - ١٤- الجذور التاريخية للقومية العربية.
 - ١٥- الجذور التاريخية للاشتراكية العربية.
 - ١٦- مستقبل الفكر العربي.
 - ١٧- الفكر العربي في التجديد والتقليد.
- وللدوري عدة تحقيقات، حيث حقق:
- ١- القسم الثالث من كتاب البلاذري (أنساب
الأشراف).
 - ٢- أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار
العباس وولده.

- أن يظهر أثر تفكير الكاتب، وهذا يبدأ بالاهتمام ببعض المعلومات بأخذها وترك غيرها، مما لا يرى له القيمة نفسها، فمجرد اختيار المعلومات فيه وجهة نظر، كما أن الحوادث لا قيمة لها ولا معنى دون نقد وتحليل وربط واستنتاج.

- المؤرخ دون حقائق لا جذور له، والحقائق دون مؤرخ مجردة من الحياة والمعنى، فالتاريخ عملية مستمرة للتفاعل بين المؤرخ وحقائقه (العلمية) في حوار متصل بين الماضي والحاضر. لهذا عدُّ الدوري التاريخ: "موضوع حي يقوم بدور بليغ في الثقافة، وفي التكوين الاجتماعي والخلقي، وله أثره في فهم الأوضاع القائمة، وفي تقدير بعض الاتجاهات والتطورات المقبلة....".

واختلف الباحثون حول أهمية التاريخ ومدى فائدته، فمنهم من قال بأهمية الرجوع إلى حقائق التاريخ (التاريخ الحضاري للأمم) لفهم الحاضر والإعداد للمستقبل، ومنهم من يرى أن الرجوع إلى حقائق التاريخ (الماضي) يجعل الإنسان منكفئاً على الماضي، متجاهلاً الحاضر ومشكلاته، أما الدوري، فيرى أن لحقائق التاريخ مزايا وفوائد، فهو يؤدي إلى:

- تنمية ملكة النقد، وتوسيع أفق التفكير من جهة، وملاحظة عوامل التقدم والتدهور في المجتمعات ومواطني القوة والضعف فيها، ومعرفة نفسية الأمة وأثرها في تطورها من جهة أخرى.

العلمية، منها: القضاء - مجلة كلية الآداب - مجلة المجمع العلمي العراقي - مجلة مجمع اللغة العربية الأردني - مجلة المجمع العلمي العربي - مجلة المستقبل العربي، وبحوث ودراسات منشورة باللغة الإنجليزية.

الدوري وعلم التاريخ

اصطلح المؤرخون على تعريف التاريخ بأنه: "سجل فعاليات البشر، ونشاطهم، وحياتهم في مختلف نواحيها في الماضي"، إلا أن الدوري لم يقف عند هذا التعريف، وإنما سجل بعض الملاحظات عليه:

- هناك تاريخ قبل استعمال الكتابة، متمثلاً بالآثار والبقايا التي خلفها الإنسان، يرجع إليها المؤرخ كمصدر مهم في الدراسة التاريخية، أما الاقتصاد على ما هو مسجل فلا يمكن أن يفي بالغرض العلمي والعمراني المطلوب.

- ليس هناك نهاية زمنية للتاريخ (كتابة التاريخ تنتهي حين لا يستطيع الحصول على وثائق...)، (النهاية هي الوقت الذي نقف عنده، ونحدده كوقت نهائي للتاريخ أو الكتابة التاريخية).

من هنا، تأتي أهمية دور علماء التاريخ في كشف الحقائق التاريخية، ملتزمين بالشروط الموضوعية النقدية للنشاط الإنساني، وحدد الدوري رؤيته لدور (المؤرخ) في تلك النقاط:

- عندما يكتب التاريخ إنما يكتب من وجهة نظر معاصرة، وليس بنظرة الفترة التي يكتب عنها، سواء إلى الحدث أو الشخصية.



يشدد الدوري على وحدة العربية والإسلام في المشروع الحضاري للأمة العربية والإسلامية



البحث، حتى يتمكن الباحث من التحقق من الحقائق والوثوق بها.

ويجب التمسك بتلك الضوابط المنهجية والالتزام بها، فالتاريخ علماً وليس قصصاً، وإلا: "لا تكون الكتابة كتابة تاريخية موضوعية أو دقيقة"، ولهذا السبب حدد الدوري ثلاثة عناصر أساسية لـ "منهج البحث التاريخي" أو "منهجية الكتابة التاريخية"، وهي:

- المنطلق الفكري والوعي الفلسفي للذات
يتكونان عند الكاتب أو الباحث في التاريخ، خلال نشأته، وفي ضوء هذا المنطلق تجري عملية فهمه للتاريخ شاء ذلك أم أبى.

- تقييم المصادر التي تقدم المادة التاريخية للمؤرخ (وثائق وسجلات ومخطوطات وآثار....) وتحليل هذه المصادر، ومن ثم نقدها للخلوص إلى نتائج (وقائع - حقائق تاريخية).

- أسلوب الكتابة الذي يعتمد المؤرخ أو الباحث، وطريقته في التوثيق (أي توثيق المصادر التاريخية)، والتحليل الذي يعتمد في غريته هذه الوثائق وتمحيصها (أي اختيارها)، وتشكل هذه العناصر الثلاثة بتفاصيلها منهج البحث التاريخي - العلمي عند الدوري.

- التاريخ للأمة يعزز وعيها لذاتها ويعمقه، ويكشف لها هويتها، ويسهم في فهمها لمسيرتها التي مضت من أجل قطع مسيرة آتية.

- الأمة بحاجة إلى دراسة فاحصة لمسيرتها التاريخية لتفهم نفسها، ولتعرف موقعها في مجرى التاريخ البشري (العالمي).

- يساعد التاريخ على تكوين الحاكم، ولذا فهو مهم للثقافة، ثم إن الاجتماع مصدر مهم للتشريع، وسبيل أساسي للاتجاه السليم، والتاريخ بخطوطه الكبرى تعبير عن إرادة الله.

وهكذا يربط الدوري التاريخ بسلسلة محكمة بوعي الأمة ونهضتها العمرانية وتقدمها الحضاري، وما لمزايها من مقومات فاعلة في فهم الحاضر وبناء المستقبل.

منهج البحث التاريخي عند الدوري

ويعد الدوري من الداعين إلى ضرورة اتباع المؤرخ منهجاً علمياً في البحث الحضاري التاريخي، يعتمد التحليل والنقد بما يمكن الباحث في الوقائع التاريخية من الوصول إلى (حقائق تاريخية)، يمكنه الاستعانة بها في إعادة بناء (المعرفة التاريخية).

يرى الدوري أن على الباحث ألا يتقيد مسبقاً - عند البحث - "برأي، أو يسلم باستنتاج، إلا إذا استطعنا اختبار صحته من مصادرنا، فالشك في كل رأي وفي كل خبر ضرورة للبدء الصحيح".

وبعد مرحلة الشك تأتي "مرحلة التحليل الدقيق للمعلومات والوقائع المدونة، ثم مرحلة النقد والتمحيص للروايات، والمصادر المعتمدة في

تاريخ التاريخ

يدعو العلامة الدوري إلى إعادة كتابة التاريخ العربي - الإسلامي؛ لأنه - من وجهة نظره - لم يكتب بعد بطريقة منهجية علمية شاملة: فالتاريخ العربي يشكو أمراضاً اجتماعية خطيرة، وإن كان ما دُون منه فيه الكثير من الدقة والموضوعية قياساً بتاريخ الأمم الأخرى فإن الاتجاهات الحزبية والدينية عبثت برواياته سابقاً وحالياً.

لذا، وجد الدوري أن دراسة تاريخ التاريخ على أساس نقدي شرط مهم للوصول إلى فلسفة التاريخ العربي الإسلامي، فمن غير دراسة ذلك الفرع الناشئ عن الكتابة التاريخية، يتعذر علينا: - فحص مصادرنا التاريخية، ونقد رواياتها، وتمييز القوي من الضعيف، والأول من التالي، والأصيل من الموضوع.

- تقييم المصادر، ودراسة أساليب المؤرخين العرب ومناهجهم وميولهم واتجاهاتهم ليمكن الاستفادة منهم بذهن مفتوح ونفاذ.

- دراسة أحوال المؤرخين، أو الرواة الذين دونوا التاريخ: ما ميولهم؟ وما ثقافتهم؟ وما انتماءاتهم؟ وما مدى دقتهم؟ وما مصادر معلوماتهم؟ أي كل ما يتحرى مقدار الدقة بما يرون. لذا يؤكد الدوري أهمية تاريخ التاريخ (أي تاريخ تأليف التاريخ العربي وكتابته)، بل ويعتبر هذا الأسلوب مدخلاً ضرورياً:

١- لكتابة تاريخية نقدية: وكمثال على ذلك، يختار موضوع السيرة النبوية، يقول: "... نرى تطور نظرة المؤرخين العرب في الكتابة عن

السيرة، حين نقارن مثلاً بين سيرة ابن هشام وعيون الأثر، ونشهد الانتقال من الأخبار التاريخية البسيطة في المصادر المبكرة إلى الأخبار التي تسيطر عليها التقوى والقدسية الدينية، والتي يختلط فيها الشعور الديني والاتجاه نحو المبالغة بالنظرة التاريخية بصورة قوية، وهكذا نستطيع أن نقوم بدراسة تاريخية للسيرة تستند إلى تقدير لأصولها، وإلى نقد تاريخي للروايات عنها"، اختيار هذا يدل على موقف لدى الدوري يسمى إلى معرفة تاريخية حقيقية بالسيرة النبوية من خلال نقد مصادرها وتمحيص الروايات عنها.

٢- نشأة الكتابة التاريخية عند العرب: يسجل الدوري "أن بدايات علم التاريخ عند العرب، سارت في اتجاهين أساسيين: الاتجاه الإسلامي عند أهل الحديث (في المدينة)، والاتجاه القبلي (في البصرة والكوفة)، وصار لكل اتجاه مدرسة تاريخية، وحصل تأثير متبادل بين المدرستين، ثم بان تفوق الاتجاه الإسلامي، حين غلب اتجاه أهل الحديث في الكتابة التاريخية.

ولكن هناك عدة إشكاليات مازالت قائمة: العلاقة بين علم التاريخ والعلوم الدينية الإسلامية، نظام ومكانة المؤرخين المسلمين في المجتمع، الزمان التاريخي والتحقيب التاريخي في الكتابة التاريخية العربية.

٣- أهمية التاريخ، ودوره في الحياة الثقافية والحياة العامة: يقول الدوري (التاريخ العربي هو تاريخ أمة وتاريخ حضارة)، ومن ثم تتطلب الكتابة



**كانت له مواقف قومية وعربية إسلامية
مضيئة، في مقدمتها الدعوة إلى الإصلاح،
ونشر مبادئ العدل والديمقراطية في
البلدان العربية**



والكتابة بها، ويعكس ذلك فإنها قد تبقى
محدودة".

٢- الإسلام (الدين): فقد عده الدوري عاملاً
حيوياً وفاعلاً في تكوين الحضارة العربية -
الإسلامية، وحدد ثلاثة تطورات كبرى شهدتها
المجتمع العربي - الإسلامي في قرونه الثلاثة
الأولى:

- التطور الاجتماعي: تحولت المراكز القبلية
إلى مجتمعات عربية حضرية، حيث صار الدين
أساس الانتساب إلى العرب، وليس القبيلة
وحدها، مما قلب البنى الاجتماعية البدوية.

- التطور الاقتصادي: بعد استقرار العرب
وامتلاكهم الأراضي، توسعت المدن، وأصبحت
أسواقاً رئيسية، مما غير نمط العيش وأسلوب
التعامل وطريقة الإنتاج.

- التطور الفكري: يرى الدوري أن التطور
الفكري ناجم عن التقدم الحضري للعرب، مما
أدى إلى قيام مراكز للبحث والعلم والتفلسف في
الحواضر العربية.

٣- البيئة الطبيعية والجغرافية: فالحضارة
تتكون - كما يقول الدوري - نتيجة تفاعل

التاريخية ترسيخ مفهوم (الاستمرارية)، التي تبرز
بجلاء في تاريخ الرسل والملوك (للطبري) الذي
يمثل في نظر الدوري: قمة ما وصلت إليه كتابة
التاريخ عند العرب في فترة التكوين، وهو يعبر
في كتابه عن فكرتين أساسيتين في التاريخ:
وحدة الرسائل من جهة، وأهمية خبرات الأمة
واتصالها على الزمن من جهة أخرى، ومثل هذه
الخبرات عظيمة الأهمية في سلوك الأمة في
حالات الوحدة أو الاختلاف، وهي في الحالتين
توضح ما يصيب الأمة في تاريخها، هكذا نشأ
مفهوم التاريخ العربي، تطور أنماط تاريخية
متعاقبة من (أيام العرب) إلى (التاريخ الشامل)
الذي يجسد فكرة الأمة.

منطق الحضارة العربية - الإسلامية

من وجهة نظر الدوري

أولاً: الحضارة والعمران:

وجه الدوري معظم جهوده العلمية لدراسة
الحضارة، ووجد عدة مقومات أو عناصر وراء
تكوين الحضارة العربية - الإسلامية وازدهارها،
ولاسيما مرحلة صدر الإسلام، وهذه المقومات
هي:

١- اللغة والثقافة: حيث دعا الدوري إلى
العناية باللغة العربية؛ لأنها وسيلة مهمة وأساسية
في: "التعبير والتفكير ودليل المستوى الثقافي
للأمة، والعنصر الأول في وحدتها"، لذلك على
كل أمة الاهتمام بلغتها وثقافتها؛ لأنها أساس
التكوين المعرفي، فاللغة - بحسب رأي الدوري -
"تنمو وتتسع لمتطلبات الثقافة والحضارة بالتعلم

الأراضي ليعودوا طوعاً إلى البداوة، فيرتفع المد البدوي ليهدي السهول"، ولكن البداوة العربية ليست (بدائية)، ويكفي أن نشير إلى: "غنى اللغة العربية، وإلى ازدهار الشعر، لنرى تعبيراً عن مستوى فكري وثقافي حسن"، وهكذا حكمت سير المجتمع العربي - الإسلامي جدلية البداوة والحضارة القائمة، فقد تدرج المجتمع العربي من "البداوة إلى الريف إلى المدينة، والحضارة المتأثرة (بالآخر) أو بحضارة أخرى تأثراً سطحياً أو محدوداً لدى الأكثرية، وبصورة عميقة لدى الأقلية".

- الحضارة العربية - الإسلامية، وصراع الحضارات، أثار هذا المفهوم جدلاً واسعاً بين المفكرين، وقد شارك الدوري فيه، قائلاً: "إن المواجهة مع الغرب وعدوانه (في القرنين الأخيرين)، وما يبدو من روح صليبية منه أحياناً، وما تعرضنا له من استغلال وتبعية اقتصادية، وما لذلك من نتائج سلبية، كله أثر ويؤثر في النظرة إليه، ولكن قضية الحضارة أساسية في المجتمعات الحديثة".

وقد أثار الدوري العديد من التساؤلات حول النظرة إلى الحضارة الغربية، قائلاً: "أهي تجزئية أم شاملة؟ ماذا يراد بالاستقلال الفكري والثقافي؟ هل نفيد من تجارب الآخرين وفكرهم في شتى المجالات، أم نحذر منها؟".

وأجاب الدوري، عن أسئلته قائلاً: "... الحضارة الغربية تكون وحدة لا يمكن تجزئتها؛ لأنها انبثقت من أصول واحدة، ولها مبادئ

الإنسان والبيئة بمظاهرها ونواحيها المختلفة. ويكون تحكم البيئة الطبيعية قوياً في المجتمعات الأولية خاصة، كما أن المجتمع بفعالياته المختلفة يؤثر هو أيضاً ويؤدي إلى تطورات جديدة".

٤- **النظم الاقتصادية الإسلامية الجديدة،** فقد أدرك الدوري أهمية العامل الاقتصادي ونظمه الجديدة في دراسته للحياة الاقتصادية، وعده: "جانباً حيوياً من تاريخ الحضارة وقاعدة لفهم الحركات الاجتماعية ولتوضيح الكثير من التطورات العامة، سياسية وفكرية"، وقد حدد الدوري أربعة أدوار مر بها العرب والمسلمون، وهي: (دور البداوة "أو دور الارستقراطية العسكرية" - دور الإقطاع - دور الزراعة - دور التجارة).

٥- **النظم الأخلاقية،** قادت دراسات الدوري إلى نتائج حضارية، خلاصتها: "إن مرحلة الازدهار الحضاري - العربية الإسلامية - هو دور تكون فيه روح المساواة والعدل متصلة وقوية، أما دور الركود، فهو دور ترتبك فيه المساواة، وتشيع فيه روح الأنانية والذاتية، أي روح الفردية والتجاوز على كرامة الإنسان وحقوقه".

ثانياً، الحضارة بين منطقي الحوار والصراع،

- صراع البدو والحضارة: يربط الدوري بين ظاهرة البداوة وضعف الدولة، مما يمهد للبدو المتمردين التعرض للمدن، والمناطق الريفية: "فتزداد فعاليتهم وتتخلص الأراضي الزراعية، وقد يتخلى الفلاحون المستقرون حديثاً عن



المؤرخ يكتب التاريخ من وجهة نظر معاصرة وليس بنظرة الفترة التي يكتب عنها، فالتاريخ عملية تفاعل مستمرة بين المؤرخ وحقائقه العلمية في حوار متصل بين الماضي والحاضر



(المادي) عنده: هو "نتاج الأمة فترة بعد فترة، فكل فترة تاريخية لها تراث تخلفه للفترة التالية، ولكن بعض هذا التراث انتهى دوره بانتهاء فترته، وبعضه تراث حي يحرص وارثوه على تمثله وإغنائه، وبذلك يكون الاتصال والاتجاه إلى المستقبل، وهذا يتطلب الدراسة والتقييم لتبين التراث الحي".

أما الأصالة، فهي المفهوم الأكثر شيوعاً ويفهمها الدوري على أنها: "تمثل الشخصية الحضارية للأمة بما فيها من قيم ومبادئ ونظرات، أو تأكيد الأمة على هويتها"، والأخذ بهذا المفهوم يعني: دراسة التراث بشكل ينقله إلى المعاصرين ليفهموه ويتمثلوه، وليساعد على حسن مواجهة مشاكل الحاضر ومتطلباته".

ارتبط مفهوم المعاصرة بمفهوم الأصالة جدلياً، وأخذ يرتبط أكثر بالمثل والشكل الغربي (للحياة)، فتفجرت من تلك الازدواجية أسئلة عديدة: هل تقليد الغرب يتيح للعرب والمسلمين التقدم والنهوض بحضارتهم؟ ويجب الدوري وفق منهجه التاريخي القومي بأن الغرب وصل

وأهداف مشتركة"، وأخيراً يرى الدوري أن موقفنا من الحضارة الغربية يعتمد على ناحيتين، هما:
- قوة الهضم في الثقافة العربية الحديثة، وقابليتها لأخذ ما ينسجم مع روحها وما يمكن تمثيله أو تمثله.

- توجد نواح خالية من الثقافة العربية، يجب الاستفادة منها من الحضارة الغربية (العلوم التقنية وثورة المعرفة).

الحضارة العربية - الإسلامية، وحوار الثقافات والأديان،

بالتفاعل والحوار بين الثقافات والحضارات والأديان تتقدم الحضارات وتزدهر، ويؤكد الدوري: "إن فترات الخصب والازدهار الثقافي تقتزن بصورة واضحة بالانفتاح الثقافي"، ويرى أن الاتصال الجدي والمنظم بين حضارتنا والثقافات الأخرى كان في المرحلة العباسية: ".... فإن العرب أضافوا من التراث الإداري والمادي في إطار المفاهيم الإسلامية، ثم عرب وطور، ووضعت له الأسس الفكرية ليكون جزءاً من الكيان الثقافي والحضاري العربي - الإسلامي، ولا يمكن للحضارة العربية أن تقتبس من الحضارة الغربية عشوائياً، إلا إذا كنا سادة فاعلين ومنتجين، وبحسب قول الدوري: "وإذا كانت البيئات الحضارية متعددة، فإن تبادل التأثير بين الحضارات ظاهرة مألوفة، ولكن ذلك لا يعني نقي التعدد أو محو الهوية".

ثالثاً: الحضارة العربية - الإسلامية وجدل الأصالة والصراع

يميز الدوري بين التراث والأصالة، فالتراث

"والأمة العربية تكونت في التاريخ، فهي قائمة في الفكر والواقع".

لهذا السبب؛ ذهب الدوري إلى القول بأن لفظ (الأمة): (قرآني في الأساس، وله أكثر من دلالة، منها الجماعات التي ترتبط بروابط مشتركة، العقيدة أو غيرها، واتخذ للأمة الإسلامية التي أعلن الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن قيامها بالمدينة، وكانت من قبائل متعددة، وضمت أناساً من أصول أخرى ومن أكثر من دين".

رفض الدوري ربط وجود (الأمة) بوجود (الدولة) والسياسة، فهو يرى أن الأمة دائمة وواحدة ومتوسعة، عكس الدولة فهي "متحركة في تاريخنا بين توسع وانحسار وتجزئة، أما الأمة فبقيت واحدة ومتوسعة، ويرى ضرورة تمييز مفهوم (الأمة) المستندة إلى اللغة والثقافة (الحضارة) من المفهوم الغربي (الذي يحدد الأمة ابتداء برقعة أرضية معينة).

تفاوتت آراء المفكرين العرب والمسلمين في تحديد طبيعة العلاقة بين القومية والدين أولاً، وبين العروبة والإسلام ثانياً، وقد نشأ عن هذا التفاوت تياران:

الأول: ينادي بالقومية والعروبة، ويعطيها الأولوية في تحديد الهوية (التيار القومي).

الثاني: يرى الإسلام المعبر الحقيقي عن هوية المنطقة (التيار الإسلامي).

ويعد الدوري أبرز المفكرين القائلين بوحدة العلاقة أو تكاملها بين القومية والدين (الإسلام)، من خلال تلك الحثييات:

إلينا في صور متعددة ومتنوعة: في صيغة المبادئ القومية والثورة الفرنسية - صورة الاستغلال المادي والسيطرة العسكرية - التغريب والضم في منظومة القيم الغربية.

وظهرت عدة مواقف في الشرق العربي إزاء الخطر الغربي الذي يهدد كيانه: اتجاه إسلامي (ديني) - قومي عروبي - مغترب مكاناً - الاتجاه التوفيق.

الدوري وفلسفة الحضارة العربية -

الإسلامية المعاصرة

جدل القومية والدين، حدد الدوري مفهومه لكلمة (قومي) قائلاً: "أريد به هنا أساساً الفكر القومي الذي يقول بوجود أمة عربية، ويدعو إلى أن يكون لها كيان سياسي واحد (وحدوي أو اتحادي)".

ويأتي قبل ذلك أو يرافقه تحرير الأجزاء وتحقيق الاستقلال. والقومية عنده ليست مفهوماً عنصرياً أو استعلائياً ضيق المعنى والأفق، بل - بحسب تعبيره -: (إيجابية تحريرية إنسانية تنكر الاعتداء على الغير أو استغلالهم، فهي لذلك تتماشى والإسلام).

ويرفض الدوري القول كذلك بأن القومية في الغرب هي مثال لكل قومية أخرى في العالم. وهذه النظرة كانت سائدة، فالقومية في الغرب: "تتاج تطور المجتمعات الغربية، وهي تركز على الأرض والدولة، والدولة هي الأساس، وتليها الأمة بمفاهيم مختلفة، وهي خلاف الفكرة العربية التي تقوم أساساً على مفهوم الأمة:

العرب - ولاسيما المسيحيين - فهم جزء من كيان الأمة العربية - الإسلامية تاريخياً وثقافياً واجتماعياً وحضارياً، وهذه الوحدة المركبة كانت هدفاً لأعداء الأمة عبر التاريخ، محاولين فصل العروبة عن الإسلام، تحت مسميات مختلفة، ويرد الدوري على هؤلاء الخصوم بقوله: "... فبالإسلام كان دور العرب الكبير في التاريخ، وبالعرب كان عز الإسلام وقيام خير دوله وحضارته".

يتجاوز الدوري الجدل في أهمية القومية أو الدين إلى القول بوحدة العاملين في المشروع الحضاري للأمة العربية الإسلامية، دون الفصل أو القطع بين العاملين، وهذا واحد من روافد العبقرية في فكر عبد العزيز الدوري.

مصادر البحث

اعتمدت اعتماداً كلياً في منهج البحث والمقتبسات الخاصة بالدكتور عبد العزيز الدوري من كتاب: "عبد العزيز الدوري مكرماً: أوراق وشهادات"، وخاصة ورقتي:

- الدكتور عبد العزيز الدوري بين علم التاريخ وفلسفته، للأستاذة إيناس صباح منها.

- ما هو تاريخ (التاريخ) عند الدوري للأستاذ رضوان سليم.

والكتاب الآخر: "منطق الحضارة عند عبد العزيز الدوري"، للأستاذة إيناس صباح منها، وهما من مطبوعات مركز دراسات الوحدة العربية، والذي قام بطبع الأعمال الكاملة للدكتور الدوري ونشرها في اثني عشر مجلداً حتى الآن. ■

- الإسلام وضع قاعدة (العربية) بنزول القرآن الكريم بها، وجعلها: "الإطار الأوسع، ومفهوم الأمة يشير ابتداء إلى الذين تجمعهم رابطة الإسلام وجهادهم في سبيل العقيدة الجديدة، وتجاوز القبلية والرابطة القبلية".

- يرى الدوري أن الفتوحات الإسلامية جاءت ترجمة لدور أصحاب الرسالة بانتشارها، وعززت أيضاً: "الاقتران بين الإسلام والعربية، وهو اقتران استمر في أذهان الشعوب المفتوحة خلال القرنين الأولين بعد الهجرة".

- بقي الإسلام والعروبة حقيقتين متلازمتين في البناء الحضاري الإسلامي بين الأمم المسلمة: "محصلة لتطور الأمة الحضاري الشامل، فاتخذت العروبة مفهومه التاريخي الذي يستند إلى اللغة والثقافة".

- الصلة بين العروبة والإسلام، وعبر التاريخ - بحسب رؤية الدوري - هي صلة ترابط وتوازن وتكامل: "وضعت أصول شريعته، وثقافتهم بلغتهم، وكان جل علمائه ومفكره في فترة التكوين منهم...".

- وهذا التشديد على ترابط القومية (العروبة) والإسلام عند الدوري لا يعني إهمال القوميات الأخرى وتهميشها؛ لأن عالمية الإسلام: "لا تناقض القومية العربية بأي حال من الأحوال؛ لأن هذه القومية ذات الجذور البعيدة الغور في التربة الأعرابية قومية حضارية، وليست عرقية، فما أكثر الشعوب الذين طرؤوا على هذه المنطقة ليدوبوا في نسيج هذه الأمة"، مثل هذا الحكم ينسحب على أصحاب الديانات الأخرى من